

قصة الخطيئة في العهد القديم

ج.ج.إسراء محسن داود المرعبي

أ.د. عمار محمد يونس

كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة كربلاء

الملخص

تأثرت قصة الخطيئة في العهد القديم بالثقافات المحيطة فادخلت الحياة كمصدر للشر، واختارت حواء لتكون سبباً في غواية آدم، في إشارة إلى النظرة الدونية التي يحملها الفكر اليهودي عن المرأة، كما يظهر في القصة اللبس الواضح في منع الرب لآدم من الأكل من شجرة معرفة الخير والشر، إذ إن منعه منها يعني أن يظل جاهلاً وغير مميز بين الخير والشر وبذا يكون غير مستحق للعقاب الذي ناله لأكله وحواء من ثمر تلك الشجرة.

The Story of Sin in the ancient Testament

Prof. Dr. Ammar Mohammed Younis

Assist .Lect. Esraa Mohsen Daoud Al-Marabi

College of Education for Human Sciences / University of Karbala

Abstract

In the Old Testament, the story of sin in the Old Testament was surrounded by the surrounding cultures and the living creature was the source of evil and seduction, and Eve chose to be the reason for Adam's seduction, referring to the inferior view of Jewish thought on women. Knowledge of good and evil, because preventing them means to remain ignorant and non-distinguishing between good and evil and thus is not worthy of the saliva, which is all and Eve of the evil tree.

يبحر بنا العهد القديم خلف مرامي النفس البشرية، وما أضفت على قصة الخطيئة من مقاصد وغايات، اذ ظلت تتعثر عند بعض الثغور والى يومنا هذا هنالك من ياخذها على علاقتها من دون نقد او تفكير خوفا من التصادم مع النص المقدس، وآخرون يرون انها استقت اضافاتها من مشارب البيئة والثقافة المحيطة، والبعض الآخر حاول ان يفسرها رمزياً مستخلصاً من القصة فحواها ومدلولاتها مستبعداً وقوع احداثها كما ذكرت .

ولتتبع ما ورد في العهد القديم عن قصة الخطيئة ومناقشة اشكالاتها وتناقضاتها نعرضها

كالآتي

اولاً : زواية الخطيئة

جاء عن الخطيئة في سفر التكوين^(١) قوله: " وكانت الحية اهيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الاله فقالت للمرأة احقا قال الله لا تاكلا من كل شجر الجنة. فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة ناكل. واما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تاكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا. فقالت الحية للمرأة لن تموتا. بل الله عالم انه يوم تاكلان منه تنفتح اعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر. فرأت المرأة ان الشجرة جيدة للاكل وانها بهجة للعيون وان الشجرة شهية للنظر فاخذت من ثمرها واكلت واعطت رجلها ايضا معها فاكل. فانفتحت اعينهما وعلمتا انهما عريانان فخاطا اوراق تين وصنعا لانفسهما مازر. وسمعا صوت الرب الاله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبا ادم وامراته من وجه الرب الاله في وسط شجر الجنة. فنادى الرب الاله ادم وقال له اين انت. فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لاني عريان فاخترت. فقال من اعلمك انك عريان هل اكلت من الشجرة التي اوصيتك ان لا تاكل منها. فقال ادم المرأة التي جعلتها معي هي اعطتني من الشجرة فاكلت. فقال الرب الاله للمرأة ما هذا الذي فعلت فقالت المرأة الحية غرتني فاكلت. فقال الرب الاله للحية لانك فعلت هذا ملعونة انت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية على بطنك تسعين وتربا تاكليين كل ايام حياتك. واضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق راسك وانت تسحقين عقبه. وقال

للمرأة تكثيرا اكثر اتعاب حبلك بالوجع تلدين اولادا والى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك. وقال لادم لانك سمعت لقول امراتك واكلت من الشجرة التي اوصيتك قائلا لا تاكل منها ملعونة الارض بسببك بالتعب تاكل منها كل ايام حياتك. وشوكا وحسكا^(٢) تنبت لك وتاكل عشب الحقل. بعرق وجهك تاكل خبزا حتى تعود الى الارض التي اخذت منها لانك تراب والى تراب تعود. ودعا ادم اسم امراته حواء لانها ام كل حي. وصنع الرب الاله لادم وامراته اقمصة من جلد والبسهما. وقال الرب الاله هوذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر والان لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ايضا وياكل ويحيا الى الابد. فاخرجه الرب الاله من جنة عدن ليعمل الارض التي اخذ منها. فطرد الانسان واقام شرقي جنة عدن الكروبيم^(٣) ولهيب سيف منقلب لحراسة طريق شجرة الحياة".

ثانياً: قراءة ونقد لرواية الخطيئة

نسبت رواية الخطيئة مصدر الشر الى الحية والتي وصفها الكاتب بأنها اهيل جميع حيوانات البرية، ويدل التساؤل الذي وجهته الحية للمرأة على امتيازها بالمكر والدهاء بمحاولتها لاستدراجها بالكلام بقولها: " احقا قال الله لا تاكلا من كل شجر الجنة "، ونراها هنا تتطرق وتحتال لتوقع الانسان في شباك الخطيئة، ولكننا نعلم ان الحية لا تتكلم^(٤)، وما اقحامها في هذه الرواية الا تأثراً بأساطير الشعوب المجاورة، ففي الادب المصري الحية تعترض سبيل الالهة الشمس لمنعها من الظهور وعند الكنعانيين ترمز الحية في بعض العبادات للجنس، اما في قصة كلكامش^(٥) فهي تسرق نبتة الحياة التي حصل عليها البطل بعد عناء ومشقة^(٦).

والحية في رمزية العهد القديم تشكل علامة الكائن المعادي لله والساعي الى تدمير خليقته فالأفعى "لويathan او لوتيان" كانت موجودة في الاساطير الفينيقية، تكلم عنها النبي أشعيا وأيوب^(٧) كذلك رهبالنتين المعادي لله وخلاتقه في قديم الايام كما اورد أشعيا^(٨): "استيقظي استيقظي البسي قوة يا ذراع الرب استيقظي كما في ايام القدم كما في الادوار القديمة الست انت القاطعة رهب^(٩) الطاعنة التتين".

لكن اللاهوتيين المسيحيين صححوا الخطأ التوراتي بعد ان رأوا انها بعيدة عن الحقيقة بعدا غير مقبول، اذ جعلوا الشيطان هو الذي اخذ شكل الحية وأغرى زوجة آدم^(١٠)، وكذا الشراح المتأخرين اليهود ذهبوا الى ذلك المنحى وأكدوا ان العلاقة بين الحية والشيطان لم تنقطع ابداً^(١١) مستفيدين من بعض الاشارات الواردة بالعهد القديم ومنها ما اورد حزقيال^(١٢) وهو يشبه ملك صور المتكبر بالملاك الساقط^(١٣) بقوله: "وكان الي كلام الرب قائلاً. يا ابن ادم ارفع مرثاة على ملك صور وقل له هكذا قال السيد الرب انت خاتم الكمال ملان حكمة وكامل الجمال... كنت في عدن جنة الله كل حجر كريم ستارتك عقيق احمر وياقوت اصفر وعقيق ابيض... انت كامل في طرقك من يوم خلقت حتى وجد فيك اثم. بكثرة تجارتك ملوا جوفك ظلما فاخطات فاطرحك من جبل الله وابيدك ايها الكروب المظلل من بين حجارة النار. قد ارتفع قلبك ليهجتك افسدت حكمتك لاجل بهائك ساطرحك الى الارض واجعلك امام الملوك لينظروا اليك" وكذا تحدث اشعيا^(١٤) عن الملاك نجمة الصبح الباهر الذي سقط الى الهوة بسبب كبريائه بقوله: "كيف سقطت من السماء يا زهرة بنت الصبح كيف قطعت الى الارض يا قاهر الامم. وانت قلت في قلبك اصعد الى السماوات ارفع كرسيي فوق كواكب الله واجلس على جبل الاجتماع في اقاصي الشمال. اصعد فوق مرتفعات السحاب اصير مثل العلي. لكنك انحدرت الى الهاوية الى اسافل الجب".

وأوضح العقاد^(١٥) تدرج الربط بين الحية والشيطان بقوله: "ولم يكن الشيطان هو الذي أغوى حواء بالأكل من الشجرة المحرمة بل كانت الحية هي صاحبة الغواية هنا جريا على سنن الأقدمين. الذين كانوا يوحدون بين الضرر الحسي وبين الخطيئة الأخلاقية، وقبل أن تصبح الحية مجرد رمز الى الشيطان تلاحظ فيه المشابهة بين نفث السم ونفث الشر على أسلوب المجاز. ولم يذكر الشيطان قط في كتاب من الكتب قبل عصر المنفى الى ارض بابل... ثم كان ذكره فيها على الوصف لا على التسمية، فجاء مرة بمعنى الخصم في القضية وجاء مرة اخرى بمعنى المقاوم في الحرب... ولم يذكر بصيغة العلم الا حيث قيل في الاصحاح الحادي والعشرين من سفر الأيام^(١٦) أنهوقف الشيطان ضد اسرائيل وقد كانت قرابين الكفارة تقسم على التساوي بين الاله وبين عزازيل رب القفار أو الجنى الذي يهيمن على الصحراء^(١٧)، وكان ايمانهم بوجود

الأرباب الأخرى التي يعبدها غيرهم من الأمم بديلاً من صور الشياطين، لأنها كانت تعمل عمل الشيطان كلما صرفت الشعب عن عبادة يهوا إلى عبادة غيرها تنثير النعمة على العصاة، وانما تأتي النعمة اذن من يهوا ولم تأت قط من أولئك الأرباب الأجنيبين، البدلاء من الشياطين".

وبذا فقد اخذت الحية دور مصدر الشر وبدأت باختيار حواء، لكن لماذا حواء^(١٨) وليس آدم؟، سيما اننا اطلعنا وفق الرواية الثانية ان الرب وجه وصيته الى آدم قبل خلق حواء، ويبدو ان الاختيار وقع على حواء لأنها لم تحذر مباشرةً من قبل الرب بل كان التحذير موجه لآدم وحده، والذي اطلعها عليه على الرغم من عدم تصريح الرواية بان آدم حذر حواء لكن هذا ما يفهم ضمناً من جوابها للحية، إلا ان المرجح ان اختيار حواء جاء من قبل الكاتب لا الحية، فكما جعل خلق حواء من ضلع آدم A وسلبها حقها في ان تخلق ككائن مستقل مساو لآدم A، حاول هنا ان يلصق تهمة الخطيئة بحواء ليقع اللوم عليها وتكون سبب لاغواء الرجل منذ اول الخلق ويبرئ آدم A مع انه المكلف بالوصية وعليه يقع عبء المسؤولية لحماية حواء من الوقوع بالخطيئة .

ان ذنب آدم A في تلك الرواية اصعب من ذنب حواء^(١٩) اذ كان سبب اغوائها الحية التي وصفها الكاتب بانها "احيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الاله"، فاستطاعت بدائها ان تحرك فيها الكبرياء وشهوة المساواة بالاله بقولها: "انه يوم تاكلان منه تفتتح اعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر"، الا ان آدم اكل من الشجرة من دون ان يتعرض لإغواء او يحتاج لجهد، فعندما عرضت عليه حواء الامر نفذ من دون ادنى تردد او اعتراض، مخالفاً لوصية الرب الذي خصه بها، وهذا يفسر لنا سبب اختيار الحية لحواء فهي الاصعب بالإقناع كما انها كانت^(٢٠) ولا زالت في الغالب هي صاحبة السيادة على الرغم من اننا اليوم نعيش في مجتمع ذكوري، الا ان احد لا يستطيع ان ينكر دورها المحوري في كل بيت، ونستشهد بما اورد جبران خليل جبران^(٢١) بقوله: "كل البيوت مظلمة حتى تستيقظ الام" .

ومن زاوية اخرى فيبدو ان حواء في قصة الخطيئة كانت تتوق منذ بدء الخلق للمعرفة ولو كلفها ذلك حياتها، ولذا لم تفكر بشجرة الحياة والخلد فهي تطمح للنور المعرفي وتفضله على

الجهل ولو كان في نعيم الجنة، كما فضلت العقوبة بالموت مع المعرفة على حياة طويلة بجهل ويؤكد السواح^(٢٢) على ايجابية دور المرأة وإنها كانت المعلم الاولى في المجتمعات الامومية القديمة القائمة على حق الأم وسيادتها الاجتماعية، اذ ان الممارسة الجنسية التي ترمز الى الكدح الذي بذلته المرأة من أجل تعريض الرجل للعوالم التي اكتشفتها قبله، قد كشفت بصيرة الرجل وجعلته حكيماً عاقلاً وجذبتة من دائرة الجوع والشبع المغلفة التي يشترك فيها مع الحيوان، الى دائرة الجمال.

وبالعودة الى جواب حواء للحية نجده مبهماً اذ لم تحدد اي شجرة هي المحرمة بقولها: "فالتت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة ناكل. واما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تاكل منه ولا تمسها لئلا تموتا"، على الرغم من ان الرب كان قد حدد لأدم A الشجرة المحرمة وهي شجرة المعرفة وهنا قد يدل جوابها انها كانت غير مميزه بين الشجرتين او انها كانا يتحدثان عن شجرة المعرفة المحرمة مستبعدين الحديث عن شجرة الحياة بدليل قول الحية لها: "لن تموتا. بل الله عالم انه يوم تاكلان منه تتفتح اعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر".

وقد يسعفنا فريزر^(٢٣) الذي اوضح ان هذا الاشكال تولد من دمج قصتين اقصى بها دور شجرة الحياة، والتي جعل الرب فيها الخيار لأدم A وحواء بين الاكل من شجرة الحياة او من الشجرة الاخرى والتي يفترض انها بالضد من الحياة اي شجرة فناء، بدليل ان من يأكل منها يموت وليس شجرة معرفه كما جاء بالرواية، اذ اورد في ذلك: "كان هناك في الأصل حكايتان مختلفتان عن السقوط صورت في احدهما شجرة المعرفة على حدة، كما صورت في الاخرى شجرة الحياة منفردة، وان كاتباً مزج بين الحكايتين في غير حذق، وجعل منهما حكاية واحدة. وعلى حين احتفظ باحدهما في شكلهما الأصلي على وجه التقريب، اختصر الحكاية الثانية وشذبهها حتى كادت تفقد معالمها... فمن الواضح اذن أن الرب، بغرسه شجرة الخلود في الجنة، وعدم منعه آدم من أن يأكل من ثمارها، كان يهدف الى أن يجعل للانسان الخيار أو على الأقل يتيح له الفرصة، لأن يكون خالداً... ولكن الانسان ضيع على نفسه هذه الفرصة حينما اختار أن يأكل من الشجرة الثانية التي حذره الله من أن يمسخها، والا استعجل فناءه... وهذا يؤكد أن الشجرة المحرمة كانت في الحقيقة شجرة فناء لا شجرة معرفة، وأن مجرد تناول فاكهتها المهلكة، بغض

النظر عن موضوع طاعة الأمر الإلهي أو عصيانه، كان كفيلاً بأن يفضى بالإنسان إلى الموت. ويتمثل هذا الاستدلال كل التمثيل في تحذير الرب عندما قال له أنك لن تأكل منها، واليوم الذي تأكل فيه من ثمارها شيئاً، سيكون مصيرك الموت المحتوم. وبناء على ذلك، يمكننا أن نفترض أن القصة الأصلية أشارت إلى شجرتين: شجرة الحياة وشجرة الفناء، وأنه كان للإنسان الخيار في أن يأكل من الشجرة الأولى وأن يعيش خالداً إلى الأبد، أو أن يأكل من الشجرة الثانية ويصبح إنساناً فانياً. وأن الرب، رحمة بمخلوقاته، نصحه أن يأكل من شجرة الحياة وحذره من أن يأكل من شجرة الفناء، ولكن الإنسان عندما أضلته الحية، أكل من الشجرة المحرمة، وبذلك حرم عليه الخلود.

وبعد حوار المرأة مع الحية تغيرت نظرتها للشجرة التي كانت تنظر لها على أنها محرمة من الرب، وستسبب الموت لهما إن أكل منها، وأصبحت بدواء الحية تنظر لها كما ورد: "فراة المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر فاخذت من ثمرها واكلت واعطت رجلها ايضاً معها فاكل".

وكان الرب قد وعدهم بالموت إن أكل من شجرة المعرفة أما الحية فقالت: "لن تموتا. بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر"، وهي هنا اصدق من الرب، إذ انهما لم يموتا وعاشا طويلا إذ بلغ عمر آدم A ٩٣٠ سنة، كما ورد في سفر التكوين^(٢٤) بقوله: "فكانت كل ايام ادم التي عاشها تسع مئة وثلاثين سنة ومات"، فتتحقق قول الحية وانفتحت عينهما.

وفضلاً عن وصف الحية بالخبث والدهاء، إلا أنها تبدو ليست على ذلك المستوى من الوصف، إذ لم تنصحهما بالأكل أولاً من شجرة الحياة، لكي تحبط عقوبة الرب بوعده لهما بالموت، ثم ترشدهما بعد ذلك للشجرة المحرمة، وورد في الرواية انهما بعد ان عرفا بعريهما خاطا من اوراق التين مآز، ولكن كيف تعلم آدم A وحواء الخياطة ومن اين حصلوا على أدواتها؟، وهما لم يعرفا هذه الصنعة من قبل ولم يحتاجاها سابقا، فضلاً عن ان اوراق التين

صغيرة لا تصلح للاختيار، ناهيك عن ان خياطة النباتات لاتجدي نفعا فاوراقها طرية لاتتحمل التماسك طويلاً، وبذا نجد انها من الاضافات الواهية للرواية.

كما صور الكاتب الرب يمشي في الجنة عند هبوب ريح النهار وعلى الرغم من عدم تحديده اي ساعة من النهار هي المقصودة، ولكن يبدو انه قصد الوقت الذي يلي الظهيرة عند هبوب نسيمات من الرياح، تشبيهاً من الكاتب للإله بالإنسان وخروجه ليتمشى ويتنزه بعد انتهاء حر الظهيرة عصرًا، واستمر بالتشبيه ووصفه بان له وجه ويجهل مكان آدم A وحواء ويبحث بقوله: "اين انت" ولا يعلم بأكلهما من الشجرة إلا بعد ان اجابه آدم A الذي اختبأ مع حواء خوفاً من الرب في وسط شجر الجنة بقوله "لاني عريان فاختبأت"، فاستنتج الرب انهما اكلا من شجرة المعرفة ولينأكد من ذلك سأل آدم A هل أكلت من الشجرة التي اوصيتك ان لا تأكل منها؟، وهنا يتخذ آدم A موقفاً مؤسفاً، اذ انه تبرأ من شريكته وأنيسته التي فرح بها بعد ان لم يجد له في كل ماخلق الاله معيناً ونظيراً، وعندما احضر الرب المرأة الى آدم A كان قد تعهد بحمايتها بقوله: "هذه الان اعظم من عظامي ولحم من لحمي"، ولذا علل الكاتب قوة الرابطة التي تجمع الرجل بالمرأة بقوله: "لذلك يترك الرجل ابيه وامه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً"، لكن آدم لم يراعي ذلك وحاول ان يبرأ نفسه بإلقاء اللوم عليها بقوله: "المرأة التي جعلتها معي هي اعطتني من الشجرة فأكلت" ونلاحظ ان قوله: "المرأة التي جعلتها معي"، وكأن فيه اتهام غير مباشر للإله بأنه كان سبباً في خطيئته.

فسأل الرب حواء وعلم منها ان الحية من اغرتها والغريب ان الرب لم يوجه اية سؤال للحية عن سبب فعلتها كما سبق مع آدم وحواء، فبدأ يصدر العقوبات قائلاً للحية: "لأنك فعلت هذا ملعونة انت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية على بطنك تسعين وترايا تاكلين كل ايام حياتك. واضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق راسك وانت تسحقين عقبه"، ولا نعلم كيف كانت الحية؟، هل تسير على قوائم اربعة ام كانت مستوية القامة لتعاقب بالزحف على بطنها؟، ثم ان الحية اليوم لا تأكل تراباً فكيف انتهت عقوبتها؟!.

وبعد ذلك وجه العقوبة للمرأة بأنها تحبل وتلد بالأوجاع ويكون اشتياقها للرجل أكثر من اشتياقه لها وجعل السيادة للرجل عليها وربما كان ذلك لأنها سادت عليه في قصة الشجرة ولم يحرك ساكنا او يعترض او يتذكر الامر الإلهي، والمرجح ان الكاتب وجد في مجتمعه ان المرأة تحبل وتلد بالأوجاع ونتيجة لطبيعة المجتمع الذكوري فله السيادة، فاعتبر ذلك عقابا لها، بعد ان برأ آدم A والصق تهمة الخطيئة بالمرأة، ومما يدل على ذلك ان ليس كل النساء تحبل وتلد بالآلام، ولا كل النساء يخضعن لأزواجهن، ولكن هذه العقوبة من وجهة نظر الكاتب.

اما عقوبة الرجل فبدأت بلعن الارض ولكن ما ذنبها لتلعن؟، اذ ورد في عقوبته قوله: "لأنك سمعت لقول امراتك واكلت من الشجرة التي اوصيتك قائلاً لا تأكل منها ملعونة الارض بسببك بالتعب تأكل منها كل ايام حياتك. وشوكا وحسكا تنبت لك وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزاً"، ولكن الارض اليوم كما تنبت الشوك تنبت الورد وتجمع بين الحقائق الغناء ونباتات الصحاري الجرداء، وهذا من طبيعتها ولا يدل ذلك على عقوبة!، اما عن تعب الرجل فليس كل عمل يتطلب عرق الوجه كما جاء بعقوبة آدم A.

ثم ختم الرب كلامه لآدم A بقوله: "حتى تعود الى الارض التي اخذت منها لأنك تراب والى تراب تعود"، وهذا يدل على ان آدم A خلق للفناء والموت، اذ ان العبارة لا تدل على انها من ضمن العقوبات بل هي نتيجة حتمية لطبيعة خلق الانسان من تراب فالإله يعود، ثم يطلق آدم A على المرأة تسمية حواء قبل الطرد من الجنة كما ورد: "ودعا ادم اسم امراته حواء لأنها ام كل حي"، ويبدو ان آدم A تميز بالقدرة على التسمية اذ بعد ان سمى جميع الحيوانات التي خلقها الرب كما ورد: "فدعا ادم باسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية"، وكذا كان قد اطلق مسبقاً على حواء عند خلقها من ضلعه تسمية امرأة بقوله: "هذه تدعى امرأة لانها من امرء اخذت"، ثم غير اسمها الى حواء بعد ان انفتحت عينهما وعلم انها ستكون ام لكل حي من نسلهما.

وقبل ان يطردهما الرب من الجنة نجد انه يصنع لهما اقمصة من جلد وهذا يدل على ان الرب ذبح حيواناً لأجل خطيئة آدم A في دلالة على ضرورة الذبح لغفران الخطايا، لكن لماذا

الرب هو من صنعها ؟، ويفترض ان آدم A وحواء قادران الان ويمتلكان المعرفة لصنعها هذا ما تركه الكاتب من غير تبرير، كما ذكر ان الرب خاف ان يأكل الانسان من شجرة الحياة ويحيا الى الابد بقوله: " هوذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر والان لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ايضا ويأكل ويحيا الى الابد. فآخذه الرب الاله من جنة عدن ليعمل الارض التي اخذ منها"، وتبقى عبارة: "واحدا منا"، موضع تساؤل؟ وغالب كما اوردنا سابقا انها تشير الى مجمع من الالهة .

فطرد الانسان من الجنة الى الارض ليعمل بها والغريب ان الرب بعد ذلك يخاف من تسلله الى الجنة من دون علمه، لذا يضع حراسة مشددة لحماية شجرة الحياة بقوله: " فطرد الانسان واقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف منقلب لحراسة طريق شجرة الحياة"، ولكن السؤال لماذا يزرع الله شجرة الحياة ومعرفة الخير والشر ان كان لا يريد لآدم A ان يقترب منهما؟، ولماذا لم يحرق شجرة الحياة او ينفىها بعد ان اكل آدم A من شجرة المعرفة وخاف ان يأكل من شجرة الحياة؟ .

وختاما نحاول استنباط هدف الكاتب من رواية الخطيئة والسقوط، اذ جاء ان الهدف هو محاولة تفسير فناء الانسان^(٢٥)، وان الموت لم يكن من خلق الرب، وإنما يعود لفقدان الانسان لبراءته، اذ لم تتضح الرؤيا لليهود فتصوروا ان الموت هو نوم عميق بلا يقظة^(٢٦)، وكانت " شئول" هي الهاوية التي يأوي اليها الموتى حيث لاصعود منها^(٢٧)، اما وعود الرب ووعيده، فإنها تتحقق في الحياة الدنيا^(٢٨)، وعبر مراحل عدة من تاريخهم دخلت فكرة البعث واليوم الآخر والحساب تدريجياً^(٢٩).

ويبدو لنا ان هدف الكاتب من قصة السقوط هو تفسير ما وجده حوله من شقاء الرجل وكده من اجل قوت يومه ومآتانيه المرأة من الم الولادة والحية التي ترحف على بطنها والتي تحمل ارتباطا اسطوريا بالشر، ناهيك عن عجزه عن تفسير ظاهرة الموت كما تقدم، فوجد لكل ذلك حلاً وتبريراً بإضافة ما حملته اليهود من ارث تورا موسى A عن قصة الخلق الاولى الى ما

كان متداولاً من تراث الشعوب القديمة حول بدء الخلق ليعلل كل ما جهل سببه في حياته ثم احاطه بهالة من التقديس.

ان كل تلك المتناقضات التي حملتها قصة الخلق في العهد القديم والتي يرفضها العقل ويضعها في دائرة الشك والالتهام، جعلت من البعض يتوجه الى التفسير الرمزي لأحداثها، كما اورد البولسي^(٣٠) عن معنى يوم الاستراحة قائلاً: "تظهر في عمل الله مثالا لعمل الانسان وتؤكد ضرورة تقديس يوم السبت كما جاء في الوصية الثالثة^(٣١) من وصايا الله: اذكر يوم السبت لتقدسه. في ستة ايام تعمل وتصنع جميع اعمالك. واليوم السابع سبت للرب الهك، لا تصنع فيه عملاً لك، انت وابنك وابنتك وعبدك وامتك وبهيمنتك ونزلك الذي في داخل ابوابك. لان الرب في ستة ايام خلق السماوات والارض والبحر وجميع ما فيها وفي اليوم السابع استراح، ولذلك بارك الرب يوم السبت وقده".

ويضيف عن ماورد في الجنة وشجرة المعرفة وخطيئة الانسان قائلاً: "ان الاطار الذي ستجري فيه حوادث الخطيئة الأولى هو جنة في عدن شرقاً. يستحيل على علماء الكتاب المقدس اليوم تحديد هذا الموضع جغرافياً. الا ان لفظة عدن مشتقة بالعبرية من اصل يعني النعيم. وبما ان الرواية ليست رواية تاريخية بل تعليمية، نكتفي بهذا المعنى لنستنتج منه هدف الكاتب المقدس، الا وهو التشديد على محبة الله للانسان. فبعد أن خلقه وضعه في جنة النعيم فيها كل ما كان الانسان القديم العائش في الصحراء يتمناه: واحة ظليلة مليئة بالشجر المثمر والمياه العذبة. وكذلك القول عن الأنهر الأربعة التي كانت تخرج من الجنة، وعن أسماء البلدان التي تسقيها، فانها ليست مواضع جغرافية نستطيع تحديدها، وانما تعني أن الأنهار التي تسقي جهات الأرض الأربع تخرج من الجنة، فهي اذاً صنع الله... [و]منذ خلق الانسان، أوصاه ألا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر. وترمز تلك الشجرة، لا الى التمييز بين الخير والشر - لأن هذا من صلب طبيعة الانسان العاقل، والله قد أعطى الانسان هذا التمييز منذ أن خلقه - انما الى السلطة على تحديد الخير والشر. وتلك السلطة هي بيد الله وحده، فهو الذي يحدد الخير والشر، وهو الذي يعطي الوصايا التي توضح ما الخير الذي يجب فعله وما الشر الذي يجب الابتعاد عنه. فالأكل من شجرة معرفة الخير والشر هو اذاً رفض لله والاستقلال عنه في كل ما يتعلق

قصة الخطيئة فى العهد القديم

بالخير والشر، والتخلّي عن وصاياه؛ انه رفض الانسان أن يكون خليفة، اي كائناً مرتبطاً بالله... وفي الجنة أيضاً هدّد الله الانسان بالموت ان لم يتبع وصاياه: أما شجرة الخير والشر فلا تأكل منها، فانك يوم تأكل منها تموت موتاً... ليس القصد من الموت في هذه الجملة الموت الجسدي، لأن الموت الجسدي هو طبيعي للانسان، بل موت النفس؛ فعبارة تموت موتاً هي مرادفة لعبارة تهلكون هلاكاً التي نقرأها في سفر تثنية الاشتراع^(٣٢). ان الانسان الذي يرفض الله ويريد أن يكون هو اله نفسه لا محالة هالك. كل ما يستطيع بلوغه من دون الله انما هو اكتشاف عريه ويؤسه؛ وهذا ما عبر عنه الكاتب المقدس بقوله ان آدم وحواء بعد خطيئتهما انفتحت أعينهما فعلمتا انهما عريانان... وما طرد آدم وحواء من الجنة... الا صورة رمزية للموت الروحي الذي حصل لهما بعد الخطيئة، اي لفقدانهما بركة الله وحياة الألفة معه^(٣٣).

الخاتمة:

تأثرت قصة الخطيئة في العهد القديم بأساطير الدول المجاورة، فادخلت الحية لتمثل مصدر الشر والغواية بعد ان تسللت الى الجنة، كما القت اللوم على حواء وجعلتها سبباً في خطيئة آدم A في اشارة الى النظرة الدونية التي يحملها اليهود للمرأة، ناهيك عن تصورهم البشري للخالق.

الهوامش

(١) ٣: ١-٢٤.

(٢) الحسك: نبات شوكي ثمرته خشنة؛ مجموعة، الموسوعة الكنسية، ج١، ص٤٧.

(٣) اورد موسكاتي عن الكروبيم في العهد القديم بانها ليست ملائكة، وانما هي طائفة من المخلوقات، تشترك مع لهيب السيف المتقلب في حراسة طريق شجرة الحياة، والسيف ليس سيف الكروبيم ولكنه سيف الرب، الذي ينتقم به؛ راجع: الحضارات السامية القديمة، ص٢٨٦، ٢٩٧؛ كما اورد اشعيا بقوله: "لانه قد روي في السماوات سيفي هوذا على ادوم ينزل.... للرب سيف قد امتلأ دماً"، ٣٤: ٥-٦؛ وهو نفس السيف القاسي الكبير الشديد الذي يقتل به الرب التتين، كما ورد: "في ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسي العظيم الشديد لويathan الحية الهاربة لويathan الحية المتحوية ويقتل التتين الذي في البحر"، سفر اشعيا، ٢٧: ١.

(٤) ذكر فريزر ان سبب كلام الحية في القصة التوراتية كان تأثراً بما كان منتشرًا بين حكايات الشعوب المختلفة وذلك بقوله: "ان هذه الروايات تشير دون دليل الى أن الحية في الحكاية الأصلية التي أفسدها الكاتب اليهودي وشوهها، كانت رسولا من الله للانسان يحمل اليه نبأ الخلود السار، ولكن هذا المخلوق الماكر استغل الرسالة لصالحه نوعه ولدمار البشر. أما منحة الكلام التي أستغلنتها الحية من أجل تحقيق غرضها الخبيث فقد زودها الاله بها لتكون قادرة على تبليغ رسالته الى الانسان"، الفولكلور، ٥٢.

(٥) كلكامش: بطل ملحمة كلكامش البابلية والتي ظهرت نحو عام ١٧٦٠ ق.م، تتحدث عن بحثه عن حياة الخلود واصل الملكية؛ راجع: زكار، المعجم الموسوعي، ص٨٣٠.

(٦) البولسي، اللاهوت المسيحي، ج١، ص١١١.

(٧) نجم، سفر التكوين، ص٢.

(٨) ٥١: ٩.

(٩) رهب: كلمة عبرية تعني عاصفة او عجرفة او رهبة، واساسا اسم وحش بحري خرافي او كائن شيطاني؛ مجموعة، دائرة المعارف، ج٤، ص١٤٠.

(١٠) غنمي، التوراة والاناجيل، ص١٢٧؛ وراجع ايضاً: القمني، التراث والاسطورة، ص٤٦-٤٧؛ كما جاء عن دخول الشيطان بالحية قولهم: "دخل الشيطان في الحية فصار لها ذكاء وحكمة أكثر من كل الحيوانات التي خلقها الله. فجميع الحيوانات ليس لها عقل ولا قدرة على النطق ولكن استطاعت الحية

قصة الخطيئة فى العهد القديم

بالشيطان الداخل فيها أن تجذب الانسان بالحكمة الشريرة الى الخطيئة" ،مجموعة ، الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم ، ج ١، ص ٤١.

(١١) العقاد، ابليس، ص ٣٨.

(١٢) سفر حزقيال، ٢٨: ١١-١٧.

(١٣) اورد جرجس قائلاً: "ان فريقاً من الملائكة الاطهار عصوا الله منذ القدم فطردهم من رتبهم وأصبحوا شياطين وكان ابليس يترأسهم... ويرى معظم الاباء ايضاً ان سقوطهم كان قبل خلق البشر" ،تفسير الكتاب المقدس، ص ٤٩؛ وهذا ماذهب اليه سفر الرؤيا رابطاً بين التتين والحية والشيطان والشر الذي تسبب بطرد فريقاً من الملائكة بقوله: " فطرح التتين العظيم الحية القديمة المدعو ابليس والشيطان الذي يضل العالم كله طرح الى الارض وطرحته معه ملائكته"، ١٢: ٩.

(١٤) ١٤: ١٢-١٥.

(١٥) ابليس، ص ٨٩.

(١٦) جاء في سفر اخبار الايام الاول: " ووقف الشيطان ضد اسرائيل واغوى داود ليحصي اسرائيل"، ٢١: ١.

(١٧) جاء في سفر اللاويين قوله: "وياخذ التيسين ويوقفهما امام الرب لدى باب خيمة الاجتماع. ويلقي هرون على التيسين قرعتين قرعة للرب وقرعة لعزازيل. ويقرب هرون التيس الذي خرجت عليه القرعة للرب ويعمله ذبيحة خطية. واما التيس الذي خرجت عليه القرعة لعزازيل فيوقف حيا امام الرب ليكفر عنه ليرسله الى عزازيل الى البرية"، ١٦: ٧-١٠.

(١٨) ذكر فم الذهب: ان الشيطان اختار الحية لانها الاكثر حيلة من جميع الوحوش واختاران يبدا بالاناء الضعيف وهو حواء؛ شرح سفر التكوين، ص ٤٥.

(١٩) اورد انطونيوس فكري قائلاً: "وربما يكون جواب حواء أفضل من جواب آدم اذهي تقرر بأنها خدعت وعيب أن ادم وهو رأس المرأة يختبئ وراء امرأة كان المفروض أنها هي تمتثل به وتتعلم منه"، تفسير سفر التكوين، ص ١٦٧.

(٢٠) اورد السواح نص احدى صكوك الزواج الذي يعود تاريخه الى الالف الثالث قبل الميلاد يقول به الزوج موجها الكلام الى سيدة المستقبل: "منذ اليوم أقر لك بجميع الحقوق الزوجية، ومنذ اليوم لن أفوه بكلمة تعارض هذه الحقوق. لن اقول أمام الناس بأنك زوجة لي، بل سأقول بأنني زوج لك. منذ اليوم لن

أعارض لك رأياً، وتكونين حرة في غدوك ورواحك دون ممانعة مني. كل ممتلكات بيتك لك وحدك، وكل ما يأتيني أضعه بين يديك"، لغز عشتار، ص ٣٣.

(٢١) نقلاً عن: هنداي، في عيد الام، مقال منشور في مجلة سيدتي، واورد جبران عن الام قائلاً: "هي كل شي، في هذه الحياة، هي التعزية في الحزن، والرجاء في اليأس، والقوة في الضعف هي ينبوع الحنو والرأفة والشفقة والغفران، فالذي يفقد امه يفقد صدرًا يسند اليه رأسه ويداً تباركه وعيناً تحرسه"، الاجنحة المتكسرة، ص ٧٠-٧١؛ ويضيف عن المرأة قوله: "ان الكتاب والشعراء يحاولون ادراك حقيقة المرأة ولكنهم لأن لم يفهموا اسرار قلبها ومخبأ صدرها"، الاجنحة المتكسرة، ص ٨٠.

(٢٢) راجع: لغز عشتار، ص ٢٣٧.

(٢٣) الفولكلور، ص ٤٩-٥٠.

(٢٤) ٥: ٥.

(٢٥) فريزر، الفولكلور، ص ٤٩.

(٢٦) لوبون، اليهود، ص ١٠٠.

(٢٧) السواح، مغامرة العقل الاولى، ص ٣٠٢.

(٢٨) لوبون، اليهود، ص ١٠٠.

(٢٩) راجع: السواح، مغامرة العقل الاولى، ص ٣٠٢-٣٠٣.

(٣٠) اللاهوت المسيحي، ج ١، ص ٨٤.

(٣١) سفر الخروج، ٢٠: ٨-١١.

(٣٢) ورد في سفر التثنية عن وعد الله بالبركة لمن يتبع وصاياه والتهديد بالموت لمن يخالفها بقوله: "انظر قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير والموت والشر. بما اني اوصيتك اليوم ان تحب الرب الهك وتسلك في طرقه وتحفظ وصاياه وفرائضه واحكامه لكي تحيا وتتمو ويباركك الرب الهك في الارض التينانت داخل اليها لكي تمتلكها. فان انصرف قلبك ولم تسمع بل غويت وسجدت لالهة اخرى وعبدتها. فاني انبئكم اليوم انكم لا محالة تهلكون"، ٣٠: ١٥-١٨ مع اختلاف عن الطبعة التي استخدمها المؤلف التي تنتهي بعبارة "تهلكون هلاكاً".

(٣٣) البولسي، اللاهوت المسيحي، ج ١، ص ٨٧، ٨٩.

المصادر

أولاً: الكتب المقدسة

١. الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس، بلا.م، ١٩٨٠م.

ثانياً: المصادر والمراجع العربية والمقالات

١. البولسي، سليم بسترس، اللاهوت المسيحي والانسان المعاصر، بلا.م، بلا.ت.

٢. جبران، خليل جبران، الاجنحة المتكسرة، المكتبة الثقافية، بيروت، بلا.ت.

٣. جرجس، نجيب، تفسير الكتاب المقدس، بلا.م، بلا.ت.

٤. زكار، سهيل، المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العالم منذ

فجر التاريخ حتى العصر الحالي، ط١، دار الكتاب العربي، دمشق، ١٩٩٧م.

٥. السواح، فراس، لغز عشتار الالهة المؤنثة وأصل الدين والاسطورة، دار علاء الدين، دمشق بلا.ت.

٦. العقاد، عباس، ابليس بحث في تاريخ الخير والشر وتمييز الانسان بينهما من مطلع التاريخ الى اليوم،

دار النهضة، القاهرة، بلا.ت.

٧. غنمي، سيد سلامة، التوراة والاناجيل بين التناقض والاساطير، ط١، دار الاحمدى، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٨. فريزر، جيمس، الفولكلور في العهد القديم، ترجمة: نبيلة ابراهيم، الهيئة المصرية العامة

للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢م.

٩. فكري، انطونيوس، كتاب تفسير سفر التكوين، ط٢، كنيسة السيدة العذراء، الفجالة، ٢٠١٢م.

١٠. فم الذهب، يوحنا، شرح سفر التكوين، اعداد: اغسطينوس البرموسى، ط١، مطبعة دار

نوبار، ١٩٩٩م.

١١. القمني، سيد، الاسطورة والتراث، ط٣، المركز المصري لبحوث الحضارة، القاهرة، ١٩٩٩م.
١٢. لوبون، جوستاف، اليهود في تاريخ الحضارات الاولى، ترجمة: عادل زعيتر، ط١، دار طبية للطباعة، الجيزة، ٢٠٠٩م.
١٣. مجموعة من كهنة وخدام الكنيسة، الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم-تفسير سفر التكوين، نشر كنيسة مارمرقس، مصر الجديدة، بلا.ت .
١٤. الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم شرح لكل أية-تفسير سفر التكوين، ط١، مطبعة دير الشهيد مار مينا العجايبى، مريوط، ٢٠٠٦م.
١٥. مجموعة من اللاهوتيين، دائرة المعارف الكتابية، ط٢، مطبعة سيوبرس، القاهرة، ١٩٩٦م.
١٦. موسكاتي، سباتينو، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، دار الرقي، بيروت، ١٩٨٦م.
١٧. نجم، أ. بيار، سفر التكوين الخطيئة الاولى، بلا.م، بلا.ت.
١٨. هنداي، خيرية، في عيد الام ماذا كتب الادباء والشعراء عنها؟، مقال منشور في مجلة سيدتي، القاهرة، بتاريخ ٢١ / ٣ / ٢٠١٨.